كارولين

20 ساعة بعد الاغتيال ..

قامت إحدى الطبيبات بمعاينة حالتي الصحية فور وصولي مقر السفارة الفرنسية بغزة. كان بادٍ على وجهي الاضطراب مما جرى، ولكني بقيت عازمة على قراري، هو البقاء. جال ببالي أنني قد ألقى حتفي في هذه الأرض! لا أعلم لماذا، ولكن ثمة هاجس يكبُر داخلي مع كل دقيقة تنعجن في طاحونة الحياة هنا، كما السجن الذي قضيت فيه شهرين تمامًا، يمضي العالم خارج السور قدمًا نحو التطور والحضارة، بينما يظل دولاب الزمان في السجن جامدًا لا يتحرك. غزة والسجن، متشابهان في السور والسجان والحرمان منذ سنين. لا يقدر المرء حتى على ارتداء قميص يكرهه، فكيف بحياة يعيشها الفلسطينيون وراء قضبان غزة!

كلفني الوصول إلى السفارة إفراز الكثير من الأدرينالين، فالمقاتلات الإسرائيلية لم تكف عن قصفها لغزة من البر والبحر والجو. إن ذلك لم يمنع جهاديو غزة من محاولة التصدي للعدوان، تجدهم يحاولون بإمكانياتهم محلية الصنع قصم ظهر عدوهم، فترى قذيفة صاروخية تنطلق في السماء الزرقاء، تاركة وراءها مسارًا دخانيًا يشد أعين المحتمين بجناح المقاومة بعد عناية الإله فوق السماء.

ذكرتُه وسبّحتهُ طويلًا من نصوص الكنيسة القلائل، بصوت كان مسموعًا لدى سائق مركبة السفارة طراز مارسيدس. سائق مسلم، بدا لي مضطربًا أكثر مني، ولم ينبس ببنت شفة خلال طريقنا إلى أن وقعت

سلسلة انفجارات، وصفها لي أنها الزوارق البحرية تقصف مراكب الصيادين عند الشواطئ. كان صوتها مرعبًا حد التفكير بأمور سلبية كحرماننا من الوصول إلى السفارة بسلام! سألته وقتها:

_ هل تعلم الطائرات أن هذه المركبة تخص السفارة الفرنسية؟!

_ أجل سيدتي .. سقف السيارة الخارجي عليه علامة مميزة أن هذه المركبة دبلوماسية.

ما لبثت أن شعرت بالاطمئنان قليلًا، حتى أردف:

_ لكن هذا لا يعني أن ما حول المركبة آمن .. لا شيء يمنعهم من استهداف أي شيء خارج نافذة بابك الخلفي سيدتي .. هذا العدو مجرم .. مجرم حد الوحشية.

سرعان ما تطايرت الطمأنينة من جوفي، ولزمت تلوَ النصوص الدينية حتى وصلنا. وهناك، استطعت شحن رصيد طاقتي بالوجوه البشوشة التي استقبلتني، واقترحت علي الطبيبة التي عاينت حالتي على تبديل ملابسي في الغرفة المخصصة. لم أنتبه أن بيجامة مُوَرَّدة زارت القنصلية وهي على جسدي، بشعرٍ غير مرتب، وعينان غائرتان في ريب مقيت.

دخلت الإنترنت عبر هاتفي. التاريخ يوافق ذكرى الاستقلال، في مثل هذه اليوم أصبحت فلسطين دولة. انتقادات كثيرة وردتني عبر واتساب وتويتر بسبب بقائي في غزة. عشرات الشتائم الأنثوية وصلتني من لوفي على شكل رسائل صوتية، كانت تبكي قلقًا في بعضها. رسائل والداي كانت أعز ما ينتقدني، أو يشتمني بالأحرى: [كارو .. هذه أنا

والدتك، أحادثك من واتساب أبيك. أنت بخير؟ نحن هنا قلقون عليك، بينما أنت في تغطياتك اللعينة .. أجيبي رسالتي فورًا] ويرقُّ قلبها في تسجيل آخر وهي تقول: [خذي الأمر بجدية، وفكري بحالنا لو أصابك مكروه ما .. دعك من الحروب يا صغيرتي .. أرجوك ارجعي إلينا في أقرب وقت]

لوفي تصرخ في تسجيل أُرسل قبل ساعتين: [أيتها الساقطة .. سأقتلك أقسم] وتعتصر الكلام من بين أنيابها وهي تردف:[مجنونة، أنانية، ساذجة .. فضلتِ التغطية والتقارير عن حياتك!! .. سمعت أن القصف طال هدفًا قرب الفندق قبل قليل. ردي هل أنت بخير!!]

ضغطتُ على مايك التسجيل، وقلت: [أنا بخير حبيبتي .. انتقلت للإقامة في مقر السفارة الفرنسية، كل شيء على ما يرام. أحبك]

ذات الرسالة، حوّلتها إلى أمي قبل أن أغلق الهاتف، ورحت أضمد جوعي بالخبز المملح مع كوب من الحليب، أعده لي موظف العلاقات العامة، وأخبرني أن السفير ينوي مقابلتي بعد ساعة من الآن. نظرت إلى ساعتي، وهمست:

_ انقضت عشرون ساعة على الاغتيال ..

***

محمود

توافق اليوم الخميس، الخامس عشر من نوفمبر، ذكرى استقلال دولة فلسطين، إلى جانب ذلك أيضًا توافق اليوم ختام العام الهجري، وكلا المناسبتين تتعطل بها المدارس والمؤسسات، اليوم الذي كنتُ أنتظر قدومه لأنعم بالتغيب عن المدرسة، أتى بشكل دامي هذه المرة، فلم نذهب إلى المدرسة، ولم ننعم بالإجازة. إننا كأي إنسان يعيش خارج حدود مدينتنا، نتمنى لو نحيا يومًا بدون دماء، ولكن كونك من غزة، فإنك تتمنى فقط، ليس بالضرورة أن يتحقق.. كأمنية مريض السرطان مثلًا، مشط الشعر. لست عرافًا لأخمن مستقبلي كيف سيبدو حتى وإن كان حاكم مصر داعمًا لغزة وليس كسابقه، إلا أنني فطنٌ بما تؤول إليه الأحوال طالما أننا في بقعة محاصرة محتلة. ربما عمري يحرمني من طرح الأفكار ومشاركة مجالس العائلة في نقاشاتهم، لذلك فإنهم لن يستمعوا إلي إن رجوتهم ملايين المرات كي نخرج من غزة ونسافر إلى عالم آخر. العيش في عالم آخر غير ممكنًا هذه الأيام، ولكني عازم أنه حالما تنتهي الحرب، سأحاول إقناع أهلي مرارًا بالسفر. يكفيني الآن انتظار أن تضع الحرب أوزارها.

أين وأين، حتى استطاع بابا الوصول إلى عمي راشد بعدما انقطع الاتصال به. قلقنا إلى الحد الذي دفع بعقولنا طرح العديد من الأفكار السلبية، التي تنتهي جلها إلى فكرة الفقد، كأكثر شيء يحتمل الوقوع خلال الحروب. وردنا بعد انقطاع الاتصال بعمي أن طائرة حربية من نوع أف 16 قد ألقت قذيفتين فوق بناية سكنية فارغة تتكون من خمسة طوابق، وتعتليها منصة إرسال واستقبال تابعة لشركة الاتصالات

الفلسطينية، وعلى إثر ذلك فقد الاتصال بالمنطقة التي كنا نسكن فيها. حتى عمي ظن أن القصف طالنا وطرح عقله احتمالية فقدنا! .. الآن هو وأسرته وجدتي بخير، ويقيمون الآن في مدرسة تتبع لوكالة الغوث، حيث تم نقلهم بمركبات مخصصة آمنة للسير تحت أعين الطائرات الصهيونية، تنقل المواطنين الفارين من القصف إلى ملاجئ الأمان، فيبقون في تلك المدارس مقيمون محتمون إلى أن تنتهي الحرب. مازالت جدتي المسكينة تصر على عدم المجيئ إلى بيت خالتي، ولولا أن مركبات وكالة الغوث آمنة، ما كانت لتتزحزح من كنفها مهما اشتد القصف، رغم أنها أصيبت بوعكة صحية أيضًا.

عكفت إيمان فور دخول بابا بيتهم على المكوث في غرفتها متجاهلة احتدام القصف واتساع رقعة الاستهداف، كما وصفها لنا بابا. ولجت إلى غرفتها، فطالعتني من وراء كتاب رُسمت على غلافه عروس ترتدي ثوبًا أبيضًا. ابتسمت لها فبادرتني بسؤال:

_ ماذا تريد؟

هززتُ رأسي أن لا شيء، وعادت إلى قوقعتها تسبر في الكتاب. طفل بعمر الثالثة عشرة، يريد أن يخرج من التفكير بما يجري، فيجد أن الحل الأمثل لقضاء الوقت هو التعرف على إيمان. ترتدي ملاءة صلاة لونها بمبي وتكبرني بعامين، تقرأ بطلاقة، وثمة تقويم أسنان يظهر كلما ابتسمت. رأيت ابتسامتها مرتين فقط، مرة عندما غرقت بحيائها أمام أمي، وأخيرة حينما رمقتها تداعب شهد.

شدت انتباهي من وراء كتابها وهي تسأل:

_ هل ستبقى صنمًا هكذا بجانب الباب! تعال واجلس.

اقتربت منها خجلًا، فسلّمتني قصة من تحت وسادتها.

_ هل تجيد القراءة أيها الصغير!

طالعتها بغرور:

_ أجل .. يمكنني قراءة أي كلمة تريدينها.

بلا مبالاة:

_ حسنًا .. اقرأ هذه القصة، ستزيل عنك الملل الذي تشعر به.

«في يومٍ من الأيام كان ملك الغابة الأسد نائمًا، فصعد فأرٌ صغير على ظهره وبدأ باللعب، شعر الأسد بالانزعاج من الحركة على ظهره واستيقظ غاضبًا، فأمسك الفأر، وقرر أن يأكله مباشرةً، خاف الفأر كثيرًا وبدأ بالاعتذار من الأسد عن إزعاجه، ورجاه أن يحرره ولا يأكله، ثمّ وعده بأنّه إن فعل ذلك فسينقذه يومًا، ضحك الأسد بسخرية، فكيف لفأرٍ صغيرٍ أن يساعد أسدًا قويًا، ولكنّه قرر تركه. وبعد مرور بضعة أيام جاءت مجموعةٌ من الصيادين، وأمسكوا الأسد، وأحكموا وثاقه بالحبال حتى يحضروا قفصًا لوضعه فيه، فرأى الفأرُ الأسدَ على هذه الحال وتذكر وعده له، فاقترب منه وبدأ بقضم الحبال حتى قطّعها واستطاع الأسد والهرب والابتعاد عن الصيادين قبل أن ينتبهوا إليه، نظر الفأر للأسد وقال له: "ألم أخبرك أنّني سأنقذك يوماً؟" ندم الأسد على استصغاره للفأر واستهزائه به، وشكره كثيراً على إنقاذه.»[6]

---

[6] https://mawdoo3.com